الفصل السادس:

الجيش العراقي في الحرب

د. عبد الكريم العلوجي

كانت نتائج الحرب في فلسطين قد قوبلت برد فعل شعبي ساخط في العالم العربي، أما في العراق. فقد ألقت الأحزاب السياسية باللائمة علي بريطانيا، ونادت الأحزاب بقطع العلاقات مع السلطات، وإنهاء معاهدة التحالف معها (١٩٣٠). وشددت الصحافة العراقية علي أن السبب الرئيسي لهزيمة العرب في فلسطين ينحصر في الرفض البريطاني تزويد العرب بالسلاح والعتاد، وباتت المصالح البريطانية في العراق أكثر عرضةً للمخاطر. وبدأ الموظفون البريطانيون في العراق يظهرون علامات الخوف، من أن تسفر الأحداث في فلسطين عن تحرك شعبي عراقي يصحبه تحرك الجيش العراقي ضد الحكومة العراقية. كما أن هزيمة البلاط، ومن ورائه النخبة الحاكمة في يناير/ كانون الثاني ١٩٤٨، أو ما أطلق عليها (بالوثبة) دفعتهما للعمل معًا، من أجل تشكيل جناح معارض من الأحزاب السياسية، والقوي المعارضة للنظام الحاكم، التي أصبحت أكثر عداوةً من ذي قبل، خاصة أن العداء لبريطانيا تصدر نشاط هذه الأحزاب، وانتقل إلى صفوف الجيش الذي أظهر تذمره من بريطانيا، علانيةً، محملاً إياها نتائج الحرب، وأظهر الجيش تصميمًا جادًا علي التخلص من الوجود البريطاني، والنظام الحاكم في بغداد، على حدٍ

سواء. وكانت بعض الوحدات العسكرية في العاصمة، وفي المعسكرات المحيطة بها، تشعر بالظلم والألم مما جري في فلسطين، وربما تمكنوا من تمهيد السبل للوصول إلى مبتغاهم بقيام انتفاضة شعبية، تظهر العداء الشديد للحكومة، والغرب، عمومًا.

وإزاء التذمر الشعبي العراقي، وخاصةً من شباب الجيش العراقي، الذين اعتبروا هذه الهزيمة مسؤولية الحكومة العراقية، وبريطانيا، والجنرال جلوب، قائد القوات العربية! وقائد الجيش الأردني! الذين أسهموا في هزيمة الجيش العراقي، ما مثَّلَ إهانةً قاسةً للعسكرية العراقية.

فكان لابد من العمل لإسقاط النظام، وطرد الاحتلال البريطاني من العراق، وإعادة الكرامة للجيش العراقي، الذي قدم الكثير أثناء حرب فلسطين عام ١٩٤٨، ولكن خيانة قادته المرتبطين بالمخطط الصهيوني الدولي، حالت دون انتصاره، وكي لا تذهب دماء شبابه وشهدائه هدرًا، كان لابد من عملٍ ينتقم لكرامة الجيش العراقي.

وحان العمل في ثورة ١٤ يوليو/ تموز ١٩٥٨، وأُسقط النظام العميل، وأُعلنت الجمهورية العراقية، وعاد للجيش العراقي دوره في الساحة العربية، جيشًا مقاتلاً قويًا ذا توجهاتٍ وملامح عربيةً وطنيةً.

حقيقة مقولة " ماكو أوامر " :

خرج العراق من حرب فلسطين مثقلاً بالجروح، التي لم يشف منها، وبما لصق به من جملة " ماكو أوامر "، هذه المقولة التي ارتبطت به، منذ انتهاء الحرب العربية الإسرائيلية الأولي، وقد روج لها الأعداء، من

أجل إضاعة الانتصار، والمعارك التي خاضها ضد العصابات الصهيونية، وإهدار جهود الجيش وتضحيات شهدائه في فلسطين، ومما يؤسف له أن الكثير في العراق من العرب أخذوا بتلك المقولة، وأصبحت إهانةً للعسكرية العراقية، فترددت تندرًا وسخريةً.

وللأسف لم يتحدث الجيش العراقي، وينفي هذه المقولة عنه برغم مرور العقود الستة الماضية، منذ انتهاء الحرب العربية ضد المشروع الصهيوني.

ولقد حاولت من خلال هذا البحث أن أصل لحقيقة هذه المقولة، ولم نجد أي وثيقة أو كلمة، تؤكد أو تنفي ذلك إلا من خلال بعض العسكريين العراقيين، الذين اشترك قسم منهم في الحرب، وهم ضباط صغار، أو الذين عايشوا هذه الفترة، أو الذين درسوا في كلية الأركان للجيش العراقي، والجميع قال: لم نقرأ أو نطلع علي مثل هذه التعليمات، وخلال يوميات الحرب العراقية الصهيونية، لم تذكر هذه الكلمة.

بل وجدنا بسالة الجيش العراقي، الذي قاتل قتالاً شرسًا في العديد من المعارك المسجلة، وكل المؤرخين الذين كتبوا عن هذه الحرب لم يذكروا هذه الكلمة، ومن خلال متابعتنا للأوامر الصادرة للقوات العراقية، التي كانت برئاسة الجنرال جلوب، قائد الجيوش العربية، لاحظنا أنه طلب من الجيش العراقي الانسحاب من بعض المواقع العسكرية، فكان الرد " ماكو أوامر " من قيادة الجيش العراقي، وتكرر الطلب عدة مرات، فكان الجواب " ماكو أوامر لدى القوة العراقية من قيادتها بالانسحاب ".

هذه هي حقيقة المقولة التي ارتبطت بالجيش العراقي دون توخي الدقة، بل العكس هو الصحيح، حيث كان الجيش العراقي يتجاوز تعليمات رئاسة الأركان العربية، مما سبب الإزعاج للجنرال جلوب، الأمر الذي تأكد في الوثائق، ومن يوميات الحرب.

مواقف الحكومة العراقية تجاه القضية الفلسطينية:

لقد تأثرت مواقف العراق حيال القضية الفلسطينية، خلال تلك المرحلة، بعاملين أساسيين،

الأول: مواقف الحكومة البريطانية والتي كانت تربطها بعرش العراق وحكومته روابط قوية مؤثرة.

الثاني: مواقف الشعب العراقي، المؤيد لنضال الشعب الفلسطيني ضد المشروع الصهيوني وسلطات الانتداب البريطاني، المتواطئة مع الحركة الصهيونية. ويمكن رؤية تأثير هذين العاملين في مواقف الحكومة العراقية المتعاقبة.

العراق يعارض التقرير:

إثر ظهور تقرير اللجنة الملكية البريطانية (١٩٣٧/٧/٧)، والقاضي بتقسيم فلسطين وإقامة دولة يهودية، وأخرى عربية بها. أعلن العراق موقف المعارض من التقرير. وقد استنكر حكمت سليمان، رئيس وزراء العراق، حينذاك، موقف المعارض من التقرير، وأرسل برقية إلى اللجنة العربية العليا عارض فيها مشروع التقسيم، كما أعلن استعداد العراق لمناصرة قضية فلسطين، حتى النهاية، وأعلن سليمان أنه قدم إلى

الحكومة البريطانية احتجاج حكومته علي التقرير وتم الإعلان عنه.

تغير موقف الحكومة العراقية من أمين الحسيني:

كانت مواقف العراق وحكومته قد بدأت تتغير في سنوات الثلاثينات، فمع مواقف العراق الملكي وحكومته من جهة، ومواقف الزعامة الفلسطينية التي كان يمثلها الحاج أمين الحسيني رئيس اللجنة العربية العليا، والذي أيد ثورة رشيد عالي الكيلاني في العراق ضد السلطة الملكية الهاشمية من جهة أخري، حدثت تغييرات في مواقف العراق نحو القضية الفلسطينية في اتجاهين.

الأول: دعم القيادات المعارضة للزعامة الفلسطينية.

الثاني: إقامة تقارب سياسي بين النظام الملكي في العراق وبين الأردن بصدد الموقف من القضية الفلسطينية.

العراق يطلب حشوداً عسكرية علي الحدود الفلسطينية:

اتخذت الجامعة العربية قرارا كان العراق اقترحه، كان أساسه موقفه المتشدد تجاه القضية الفلسطينية. وقد أضاف صالح جبر، رئيس الوزراء العراقي آنذاك جوانب أخري لموقف حكومته، عندما عقدت اجتماعًا جانبيًا مع بعض ممثلي فلسطين للبحث في الوسائل والتدابير لتموين (الكتائب العراقية) معها.

العراق يرفض مشروع التقسيم ويطالب بقطع النفط:

عُرض مشروع التقسيم علي الأمم المتحدة في أواخر عام ١٩٤٧. وخلال مشاركة اجتماعات مجلس الجامعة العربية في القاهرة في كانون

الأول/ ديسمبر ١٩٤٧، عاد رئيس وزراء العراق، لإثارة موضوع استخدام النفط من أجل القضية الفلسطينية.

كيف شارك العراق بحرب فلسطين؟ :

ظهرت مشاركة العراق في حرب فلسطين عام ١٩٤٨ من خلال نشاطات المتطوعين العراقيين اللذين انخرطوا إلى جانب غيرهم من المتطوعين العرب، في جيش الإنقاذ، فضلاً عن القوات العراقية النظامية.

العراق يقبل الهدنة الأولي:

أعلن العراق قبوله الهدنة الأولي في حزيران/ يونيو١٩٤٨، وذلك في إطار قبول الدول العربية الأخري، والتي لها جيوشها في فلسطين.

وأكد بيان عراقي صدر عقب الهدنة، تصميم العراق علي حل القضية الفلسطينية، حلاً عادلاً، يحفظ حق العرب كاملاً.

انسحاب الجيش العراقي من المواقع المرابط فيها :

عندما استؤنف القتال في فلسطين، في شهر تموز/ يوليو١٩٤٨، وفي ظل غياب أي تنسيق بين الجيوش العربية، انسحب الجيش العراقي من المحاور التي كان يرابط فيها، بحجة انسحاب القوات الأردنية من المواقع القريبة من اللد - والرملة، وقدم طه الهاشمي، أحد رجال العراق السياسيين والعسكريين، ما قامت به الجيوش العربية في فلسطين بقوله:

" إن القوات العربية لم تحارب، بالمعني الصحيح، حتى يقال إنها خسرت المعركة... وإذا كانت النتيجة بعد القتال الذي جري بين العرب واليهود، أن هؤلاء نجحوا في تأسيس دولتهم، فإن مرد ذلك، في نظري، إلى أسبابٍ سياسية، ولأسبابٍ عسكرية. وعلى الرغم من أن الجيوش

العربية لم تشترك في قتال في فلسطين بقواتٍ كافيةٍ، فإنها لو استخدمت في الأغراض العسكرية البحتة، من دون أن تصبح الأغراض السياسية هي المسيطرة، لكانت تلك القوات، على قلتها، حالت دون تأسيس تلك الدولة.

العراق يوقف ضخ النفط إلى ميناء حيفا :

أصر العراق علي إيقاف النفط إلى ميناء حيفا الفلسطيني الذي وقع تحت السيطرة الصهيونية،

أما الحكومة البريطانية فقد طلبت من الحكومة العراقية تنفيذ بعض النقاط، وهي:

١- عدم إرسال قطعات عسكرية عراقية إلى فلسطين، أو تشجيع الحكومات العربية على أن تفعل الشيء نفسه.

٢- عدم التشجيع علي تشكيل حكومة فلسطينية، تحت قيادة مفتي فلسطين الحاج محمد أمين الحسيني، أو أي شخص آخر.

٣- عدم تشجيع المتطوعين العرب للوصول إلى فلسطين، قبل ١٥ مايو/ آيار ١٩٤٨.

٤- عدم إيقاف ضخ النفط العراقي إلى مصفاة حيفا.

٥- مواصلة الجهود الدبلوماسية لإيجاد حل للمشكلة الفلسطينية.

غير أن الحكومة العراقية التزمت بهذه الإرشادات خلال شهري نوفمبر/ تشرين الثاني، وديسمبر/ كانون الأول ١٩٤٧، ويناير/ كانون الثاني من عام ١٩٤٨.

القوات الصهيونية تهاجم وتحتل المدن الفلسطينية:

إن الأحداث المتسارعة في فلسطين وقيام الهاغاناه وبقية القوات الصهيونية بالهجوم على المدن الفلسطينية، في نيسان/ أبريل ١٩٤٨. واحتلالها لأغلب المدن العربية ومنها طبريه، وحيفا، وصفد، ويافا، وبيسان، وإبعاد العرب منها، بطريقة وحشية، كمذبحة دير ياسين استفزت المشاعر العربية بشكل كبير، وولدت سخطًا كبيرًا ضد الصهاينة، مما أجبر القادة العرب على إرسال جيوشهم إلى فلسطين، بهدف امتصاص النقمة الشعبية الغاضبة.

تغيير القائد العام للجيوش العربية:

لم يمتثل اللواء إسماعيل صفوت لأوامر الملك عبد الله. خلال الأسبوع الأول من مايو/ آيار، ولم يظهر اللواء إسماعيل أي تعاون مع الأمير عبد الإله الوصي على عرش العراق والملك عبد الله، لذلك لم يعين بصفة رئيس أركان القوات العربية. وصدر قرارٌ بتعيين ضابط عراقي آخر، هو اللواء نور الدين محمود، وأيدت اللجنة السياسية في الجامعة العربية تعيينه، وجاء القرار مشفوعًا بموافقة الوصي والملك عبد الله. وبذلك ضربا عصفورين بحجرٍ واحدٍ، إذ حال ذلك دون تدخل اللواء صفوت أو الفريق صالح الجبوري رئيس الأركان العراقي في شؤونهما. وقد وصف الآخر في كثير من التقارير البريطانية: بأنه " واحدٌ من أعداء بريطانيا في العراق ".

الملك عبد الله لا يرغب في ذهاب القطعات العراقية:

أضيف التغيير في خطة الهجوم الأصلية، التي كان يعتقد بأنها

ستحرز النصر، وفق تعليمات الملك عبد الله، الذي لم يكن يرغب بذهاب القطعات العراقية، إلى ما وراء المناطق التي عينتها الأمم المتحدة للعرب، وفق قرار التقسيم.. وقال الفريق الجبوري إن المعارك كانت تسير وفق خطط الملك عبد الله، التي لا تطابق الخطة الأصلية.

القوات العراقية تغادر فلسطين:

في ١٦ أبريل/ نيسان١٩٤٩ غادرت القوات العراقية فلسطين، وكان تعدادها ثمانية عشر ألف مقاتل بعد أن قررت الحكومة العراقية سحب هذه القوات بسرعة. وكان الضباط العراقيون الشباب متأكدين من تصرف بعض ملوك المنطقة بسوء نية في فلسطين، وأن العرب قادرون علي كسب الحرب، وأن غدر السياسيين العرب كان السبب الرئيسي في خسارة فلسطين، فقد لوحظ أن الجيوش العربية علي رغم قلتها وقلة استعدادها وتسليحها، نجحت خلال الأيام الأولي للحرب في السيطرة على أقسام كبيرة من الأراضي الفلسطينية.

الخبراء العسكريون يعارضون استخدام القوة:

أما عن الإجراءات العسكرية التمهيدية التي بادرت بها الحكومة العراقية، فقد بدأت بإرسال وفد عسكري في كانون الثاني/ يناير ١٩٤٨، برئاسة اللواء الركن نور الدين محمود، إلى شرقي الأردن، للتباحث في أمور عسكرية تخص البلدين، وحين عاد الوفد قدم تقريرًا، أوضح فيه بأن الأمر سيكون في غاية العسر والشدة، وأن الوفد يعارض استخدام القوة.

إصدار الأوامر لتحرك القوة العراقية:

رغم ذلك، وحسب تطور الموقف، فقد صدرت الأوامر إلى " القوة

الآلية " وغادرت بغداد، في ٢٨ نيسان/ أبريل ١٩٤٨، للتجمع في شرقي الأردن (المفرق).

وفي ١٩٤٨/٥/٦، صدرت الأوامر، بتشكيل جحفل اللواء الأول. الذي وصل إلى المفرق ظهر يوم ١٩٤٨/٥/١٤. فعسكر في العراق، شمال الطريق العام، متخذًا تدابيرَ الحماية الأرضية والجوية، كما هبطت يوم ١٢ من آيار/ مايو، طائرات القوة الجوية العراقية في مطار " المفرق ".

أرض المعركة:

تمر الحدود الأردنية - الفلسطينية بين بحيرة طبرية والبحر الميت، بصفة عامة، في وسط نهر الأردن، حين تقترب من بحيرة طبرية، وعندئذٍ تسير شرقًا إلى العدسية، ثم إلى نهر اليرموك.

يحيط بنهر الأردن وادٍ عميق ينخفض مئات الأمتار، تحت سطح البحر. وتقع علي جانبيه سلسلة من الجبال العالية المنحدرة بشدة، وخاصة جهة فلسطين نحو الوادي. أما السفح الغربي للسلسلة، فينحدر ببطءٍ، ويصلح لسير العربات، وفيه شبكةٌ جيدةٌ من الطرق. أما في شرق الأردن، فتمر طريق واحدة من الشرق إلى الغرب، وعندما تقترب الطريق من وادي الأردن، وتسير إلى منطقة المضيق شرقي النهر، تسيطر عليها الجبال الواقعة غربي الأردن.

أما مياه النهر في ذلك الموسم، فكان ارتفاعها، يقارب القدمين ونصفًا، ويجتاز الطريق العام النهر علي جسر حديدي، هو " جسر المجامع ".

مشروع الكهرباء "مشروع روتنبرغ" :

في هذه المنطقة يقع مشروع الكهرباء (مشروع روتنبرغ) لإمداد المستعمرات بالكهرباء والمياه، وهو مبني في أراضٍ أردنيةٍ، تقع عند ملتقى نهر الأردن باليرموك، وفيه ثلاثة أبواب:

الباب الأول: (ريجانبا - A)، قبل سمنح، عند مخرج نهر الأردن من بحيرة طبرية، وعليه مغالق حديد فولاذية، وآلات رافعة لرفع السد وإغلاقه، عند اللزوم.

الباب الثاني: على الطريق الغربي غربي " أجدوت " ويوجد مغلاق فولاذي، أصغر من الأول لقياس المياه.

الباب الثالث: عند مدخل الشريعة، على سد اليرموك، وعليه جسر حديدي، وجسر الطريق الرئيسي، ويفتح عند اللزوم فحسب، لاستكمال مياه الخزان.

يقع الخزان في الناحية الشمالية وجدرانه من الأسمنت المسلح، ويوجد على مخرج الخزان جسر " نهرايم " الواقع على الطريق الرئيسي (بيسان - سمنح)، ويمر بجانبه خط السكة الحديد، وتمر القناة من تحته بانحدار تدريجي، فتصل إلى المنحدر الرئيسي لمحطة التوليد - تلك المحطة التي تديرها محركات كبيرة - ويوجد إلى جوار المشروع مطار فرعي، محاط بأسلاك شائكة.

وفي غربي نهر الأردن توجد نقطة دفاعية أنشأها الحلفاء أثناء الحرب العالمية الثانية، عرفت باسم خط إيدن، حيث اعتبر نهر الأردن

مانعًا في وجه الدبابات، وكان المقصد من إنشاء الخط تجهيز مواقع دفاعية لإيقاف الزحف النازي، الذي كان منتظرًا فيما بين عام ١٩٤١ و١٩٤٣.

منطقة (غيشر) الدفاعية:

تألفت منطقة " غيشر " الدفاعية من حصن كبير مربع تقريبا طول ضلعه نحو ٢٠٠ متر، وقد بنيَ بالأسمنت المسلح، ولا يقل سمك الجدار عن المترين، لتخزين السلاح والذخيرة، والاحتماء فيه من القصف الجوي، وأحاطت بالحصن ثلاثة خطوط من الأسلاك الشائكة، وقدمت رجال الهاغاناه فيما بينهما عددًا من الألغام المضادة للأفراد وللدبابات.

أما أبواب الحصن فهي من صفائح فولاذية، سمكها نحو ٣ - ٤ سم. وعلى التلال، خارج الحصن، مسافة من ١ - ٨ كم ثمة دشم مبنية بالاسمنت المسلح، بارتفاعٍ قليلٍ عن الأرض، بها رشاشات وهاونات، وقد أخفيت بزرع الحشائش، فوقها وحولها، وأشرفت تلك الدشم على ميادين واسعة، لضرب النار، وتحكمت تمامًا بالأرض والمحيطة بها، وتعاونت فيما بينها بخنادق عميقة تصل بين بعضها البعض.

وكانت تشوينات العدو من الطعام، والأسلحة، والذخائر، في الحصن تيكفي للقتال لمدة شهر ونصف.

مجمل الخطة العراقية:

قررت القيادة العامة، بعد الاستطلاع، أن تقوم القوات العراقية، بعبور نهر الأردن من منطقة المجامع (في مواجهة بيسان)، في عملية

متنقلة، وأن يتقدم رتلٌ أردنيٌ من جسر الشيخ نحو (بيارة)، لمساندة القوة العراقية، في تقدمها من جسر الجامع.

وكان هدف الخطة:

- احتلال منطقة مشروع روتنبرغ (لتوليد الكهرباء والمياه).
- عبور نهر الأردن وإنشاء رأس جسر.
- تطويق قرية (غيشر)، واحتلال المواقع على التلال، لإخضاع القوات الصهيونية المقاتلة في القرية.
- تطويق حصن غيشر، والانقضاض عليه.

الأردن أنذر العمال اليهود بمغادرة "مشروع روتنبرغ" خلال ٤ ساعات:

في الساعة الثانية بعد الظهر يوم ١١ آيار/ مايو ١٩٤٨، تقدم متصرف إربد الأردني بهجت باشا طبارة، وقائد المنطقة نديم السمان، فأنذرا اليهود العاملين في محطة توليد كهرباء (مشروع روتنبرغ) بمغادرة المكان، باعتباره يقع في أراض أردنية خلال ٤ ساعات، وسمحا لهم بإبقاء الموظفين والعمال اللازمين لإدارة المشروع فحسب، على أن يكونوا غير مسلحين، وهدداهم بالاحتلال العسكري للمشروع، وإيقافه عن العمل، في حالة عدم الموافقة. وبعد مداولات استمرت نحو ساعتين رضي اليهود بالشروط المفروضة، وغادر المسلحون من " الهاغاناه " مشروع روتنبرغ، ورحلوا مع أسلحتهم إلى مستعمرة " غيشر " غرب نهر الأردن، بينما بقي أربعون صهيونيًا غير مسلحين في المشروع لإدارته.

القوات العراقية تعتقل أفراد المشروع:

تحركت القوة الآلية العراقية من " المفرق " في الساعة الواحدة بعد ظهر يوم ١٤/٥، على طريق " إربد - وادي عربه "، وعندما وصلت مقدمتها إلى مخفر شرطة الجامع، دخلت سرية مشاة آلية منطقة مشروع روتنبرغ، واعتقلت الصهاينة الأربعين.

آمر القوات العراقية وجه إنذارا إلى الصهاينة بحصن " غيشر " :

وقد قام آمر القوة الآلية العراقية بتوجيه إنذارًا إلى القوة الصهيونية، في حصن " غيشر " طالبًا فيه باستسلام المسلحين المتحصنين في الحصن، مع أسلحتهم، وأعتدتهم، وأنذر بدك الحصن بالقنابل إذا لم يجاب إلى طلبه.

القوات الصهيونية بالحصن تستعد لصد الهجوم العراقي وتنسف الجسور:

- وفي اليوم نفسه توافدت نجدات " الهاغاناه " إلى منطقة " غيشر "، وتسلح صهاينة المنطقة والمناطق المجاورة، واتخذوا الاستعدادات لمواجهة الهجوم العراقي المتوقع. ولكن يوم ١٤ آيار/ مايو انقضى دون اشتباك بين العراقيين والصهاينة، وبعد حلول الظلام نسفت فرق صهيونية الجسر التركي القديم بين " نهرايم "، ثم نسفت جسر روتنبرغ على نهر الأردن.

- وبعد منتصف الليل نسف الإسرائيليون جسر السكة الحديد على الأردن، وانقطعت جميع المواصلات التليفونية بين " غيشر " وباقي مستعمرات وادي الأردن.

الانقضاض على حصن " غيشر " :

١- اقتضت العوامل السياسية عدم القيام بأي عمل حتى الواحدة من صباح ١٥ آيار/ مايو ١٩٤٨.

٢- لما كان الإسرائيليون يتوقعون تقدم القوات العراقية، كان من الطبيعي أن يقوموا بنسف الجسور، قبل وصولهم إليها. وهكذا فقد كان واضحًا أن فرصة عبور نهر الأردن ودخول فلسطين بسهولة من هذا الاتجاه (إربد - الجامع - غيشر) أمر غير ممكن.

٣- كان واضحًا أيضًا، للأسباب المتقدمة، أن العدو لابد أن يفتح أبواب خزانات المياه في مشروع روتنبرغ أو ينسفها، ليرفع مستوى مياه النهر، فيمنع المجال لعبور القوات العراقية خوضًا.

٤- لذا كان من الضروري إحضار مواد إقامة الكباري والجسور، حتى يمكن إقامة كوبري عسكري بسرعة، ولكن ذلك كان يتعارض مع مبدأ المفاجأة، لأن جلب هذه المواد مبكرًا يفضح نية القيادة في التقدم من هذا المحور، بينما كانت القيادة العراقية تريد كتمان جهة التقدم.

لهذا السبب نفسه " كتمان جهة التقدم " ظلت القوات العراقية معسكرة في المفرق حتى صباح ٥/١٤، إذ أن المفرق بمثابة عقدة مواصلات تلتقي فيها عدة طرق، وبإمكان القوات المحتشدة فيها أن تتقدم باتجاه الشمال، فتسلك الطريق التي تخترق القطر السوري، أو أن تتجه على طريق " إربد - جسر الجامع "، أو أن تتقدم على محور " عمان - جسر اللنبي " أو جسر دامية، فتدخل فلسطين.

اجتياز نهر الأردن:

انتخبت المخاضة القريبة من شركة النفط، جنوب جسر غيشر بحوالي ٤ كم، للعبور وفي الساعة الخامسة صباح ٥/١٥، بدأت سرية مشاه من الفوج الآلي وسرية مدرعات من كتيبة خالد، بعبور النهر الذي كان منسوب المياه فيه يرتفع تدريجيًا، نتيجة قيام العدو بنسف السدود.

طريق عبور المدرعات:

كانت المدرعات تعبر النهر بأن تُربَط بحبلٍ أو سلكٍ طويل ويسحبها أحد الجرارات التابعة لشركة النقط من الجانب الآخر، بينما كان المشاة يعبرون خوضًا.

إنشاء رأس الجسر:

في خلال ساعتين أقامت سرية المشاة رأس جسر على التل الأحمر، جنوب غيشر غربي النهر، ونظرًا لوجود عدة طرق تتجه نحو الشمال إلى مستعمرة " غيشر " ونحو الغرب باتجاه بيسان، وإلى الجنوب نحو بيت يوسف، فلم يتمكن العدو من معرفة وجهة زحف وتقدم القوات العراقية.

بدء الاشتباك:

لم يتلق آمر القوة الآلية جوابًا من حسن غيشر على إنذاره حتى صباح ٥/١٥، وفي الخامسة والنصف بدأت القوة الآلية تفتح النار بأسلحة وهاونات الفوج الآلي، ورشاشات المدرعات، وقصف حصن غيشر بمواقع كتيبة الصحراء الثالثة (٢٥ رطلاً)، كما اشتركت القوة الجوية العراقية في القصف. بينما قام سربٌ آخر من الطائرات باستطلاع منطقة

جسر الجامع، والطرق المؤدية إلى غيشر.

خسائر العدو:

دمر قصف المدفعية والهاونات بعض مزاغل (المزغل ثغرة صغيرة في الحصن، يطلق فيها النيران من رشاشات أو بنادق تكون داخل الحصن) وجناحًا صغيرًا، إدعى الصهاينة في بلاغهم بأنه الجناح المعد للعمليات الجراحية والإسعاف.

العدو يروج:

قام العدو بفتح نيرانه على القوات العراقية، ومدرعاتها، الموجودة في مشروع روتنبرغ وتلك التي كانت تعمل بجوار مخفر شرطة الجامع.

تطور القتال يوم ١٦ مايو:

١- شنت القوات العراقية صباح ١٦ آيار/ مايو هجماتها على حصن " غيشر " من اتجاهين [١].

الاتجاه الأول: من غربي الأردن جنوب المستعمرة، حيث عبرت يوم ٥/١٥ سرية مشاة من الفوج الآلي وتمركزت في التل الأحمر. وكذلك عبرت معها سرية مدرعات، ثم عبر الفوج الثاني من اللواء الأول ليلة ١٩٤٨/٥/١٦.

الاتجاه الثاني: جهة مخفر شرطة " الجمرك - المنشية " يمين ويسار طريق إربد - غيشر العام، حيث كانت باقي وحدات القوة الآلية.

(١) محمد فيصل عبد المنعم، أسرار ١٩٤٨، دار الهنا للطباعة، القاهرة، ١٩٦٨، ص ١١٧.

٢- في الرابعة فجر يوم ١٦ آيار/ مايو تقدم الفوج الثاني من اللواء الأول منتشرًا في منطقة عبوره مع سرية مدرعات، تقدم نحو الشمال باتجاه قلعة غيشر من غربي الأردن، واستطاع الاقتراب منها إلى ٨٠٠ متر تقريبًا، حيث توقفت السريتان الأماميتان من نيران الرشاشات والهاونات المعادية، وانفجار بعض الألغام، ورغم استخدام نيران المدفعية (٢٥ رطلاً) من ضفة الأردن والشرقية، فإن السرايا لم تستطع التقدم إلا لمسافة ضئيلة، حيث لم تؤثر نيران المدفعية على استحكامات ومواقع العدو والحصن.

احتلال محطة غيشر والهضاب الغربية:

١- استخدم آمر الفوج الثاني السرية الاحتياط باتجاه محطة قطار غيشر، لتي كانت السرية اليمنى قد تمكنت من احتلال التلال المشرفة عليها، وعلى قرية الجامع المجاورة للمحطة.

٢- بعد قتالٍ دامَ ثلاثَ ساعاتٍ، استبسل فيه آمر السرية الثانية نهاد شاكر، ووكيل آمر الفصيلة الرابعة، العريف سلمان عبود، الذي جرح مع عدد من جنوده في هذا القتال، استطاعت السرية احتلال محطة قطار غيشر في الثانية بعد ظهر ٥/١٦.

٣- أما السرية الثالثة من الفوج الثاني، فقد كانت تتقدم من اليسار، واستطاعت باستخدام نيرانها والأسلحة المساعدة من الفوج والمدرعات، أن تحتل التلال (تل باب المنظار) شمال غرب الحصن بمسافة ٦٠٠ متر.

وقد قوبلت هذه السرية، بنيرانٍ كثيفةٍ جدًا، من العدو مما تعذر معه، تمامًا، على المجاهدين اختراق هذا السد الناري الكثيف. وقد تكبدت السرية خسائر فادحة مما اضطرها إلى التوقف، والاحتفاظ بالتلال.

محاصرة قرية وحصن غيشر:

حتى عصر ٥/١٦ لم يستسلم حصن غيشر، وكان المعتقد أن حامية الحصن قد تكبدت خسائر فادحة، فأصدرت القيادة العراقية أمرا في الرابعة والنصف، بمحاصرة قرية غيشر " من جميع جهاتها، لمنع العدو من الهرب أو وصول نجدات إليه.

مهاجمة تلال وحصن غيشر:

١- عقد وكيل قائد القوات العراقية، الزعيم طاهر الزبيري، مؤتمرًا ليليًا في قصر القيادة، في وادي عربة ليلة ١٦ - ١٧ آيار/ مايو، حضره العقيد الركن نجيب الربيعي، آمر الجحفل الأول، وبعض القادة الآخرين، للبحث في القتال الذي جري يوم ١٦ آيار/ مايو، وتبادل الرأي بخصوص يوم ١٧ آيار/ مايو، وانتهى المؤتمر منتصف الليل، بقرار استئناف الهجوم صباح اليوم التالي، على قرية غيشر بجحفل اللواء الأول، وتحت قيادته سرية ومدرعات، مع طلب قصف مستعمرات: كوك - بيسان - بيت يوسف، بالطيران بقنابل خفيفة ومتوسطة.

في السادسة من صباح يوم ٥/١٧ بدأ الفوج الأول من اللواء ١٥ بالتقدم إلى المخاضة، ثم بدأ بالعبور من المنشية. وفي العاشرة بدأ التقدم منتشرًا نحو الشمال، كما بدأ العدو في قصف الفوج بقنابل الهاون وبالطيران، وقد جرح آمر الفوج الثاني، المقدم رفيق أحمد، وضابط الإسناد الملازم كاظم عبد الكريم، كما أصيب آمر سرية الإسناد الرئيس أول نافع سيد احمد.

في هذا الوقت كان ملك الأردن عبد الله، والوصي على العرش العراقي الأمير عبد الإله، قد حضرا مع عبد الرحمن عزام الأمين العام للجامعة العربية، وبعض ضباط القيادة العامة إلى شرق نهر الأردن للاطلاع على القتال الدائر.

يقول اللواء الركن خليل سعيد - وكان من حضور هذه المعركة - بالحرف الواحد " ويظهر أنه قد راق لهم (يقصد الملك عبد الله والأمير

عبد الله ومرافقيهم) تسلق الضباط والجنود للتلال في غربي الأردن، واحتلالهم لبعض السفوح والقمم الواقعة غرب الطريق، واعتقدوا أن الفرصة سانحة لاحتلال قرية كوكب الهوي الموجودة أعلا المنطقة ".

وعلى ذلك فقد صدرت الأوامر بجهاز لاسلكي القيادة العراقية (من الضفة الغربية)، إلى آمر الفوج الأول من اللواء ١٥، المقدم الركن عادل أحمد راغب، بأن القائد الأعلى للجيش يطلب توجيه سرية من اللواء نحو قرية كوكب الهوى واحتلالها.

اعترض آمر الفوج مبينًا الصعوبة في تنفيذ هذا الأمر، إلا أن تأكيد القيادة عليه أدى إلى أن يصدر أمره لواحدة من سرياته بالتوجه إلى القرية المذكورة لتحتل البساتين والقرية نفسها، بينما استمر الفوج (عدا السرية التي أرسلت) في التقدم نحو الشمال حسب الخطة الأصلية.

تعزيز الهجوم على كوكب الهوى:

ما أن حانت الساعة الثانية بعد الظهر، حتى كانت السرية المذكورة قد اضطرت إلى التوقف، نتيجة وعورة المنطقة وشدة نيران العدو. فعززها الفوج بسريةٍ أخرى بقيادة الرئيس الأول طالب جاسم العزاوي، التي تسلقت المرتفعات، بكل حماس حتى وصلت إلى حافة البساتين، وأطلقت في عصر اليوم نفسه، إشارة احتلال الهدف وطلبت إرسال المياه والتعيينات، في حين تبين فيما بعد أنها لم تكن قد أتمت احتلال الهدف.

هجوم المدرعات على حصن غيشر:

في حوالى الخامسة عصر يوم ١٧ آيار/ مايو كان ضباط المدرعات

على أجهزتهم اللاسلكية يتلقون أمرًا مباشرًا من مقر القيادة، على نفس الطريقة السابقة في تعديل الخطة، بأن القائد الأعلى للجيش العراقي يطلب القيام بالهجوم على قلعة غيشر واحتلالها، وأن تكون السريتان تحت قيادة أقدم ضابط فيهما.

معركة الليل:

عند حلول الظلام كانت المدرعات تتقدم بحذر، السرية الأولى في اليمين والثانية في اليسار، وتحت قيادة الضابط الأقدم بالسريتين، الرئيس الأول طاهر يحيى.

تقدمت المدرعات في نظام حربي دقيق على الحصن، وكانت في زحفها تشبه نقل الأحجار من رقعة الشطرنج (كما جاء في مذكرات صهيوني أسير في معارك وادي الأردن).

وانصبت على السريتين نيران العدو المتحصن في القلعة، فأجابتها المدرعات بنيران الرشاشات الخفيفة والثقيلة لإسكاتها. واندفعت السريتان بجرأة بالغة نحو القلعة، يتسابق أفرادها لنيل شرف السبق في الجهاد، وعلى مسافة ٥٠٠ متر من القلعة، بدأت المدرعات تقليل من سرعتها لوعورة الأرض، ثم أخذت المسافة تتناقص تدريجيا حتى بلغت ٢٥٠ مترًا، وأصيبت أحدى المدرعات بلغم واضطر طاقمها إلى تركها. ورغم شدة النيران كان المدرعات استطاعت الإحاطة بالقلعة من جهتين، حتى أصبحت على مسافة لا تزيد عن ١٠٠ متر من إحدى الجهات، بينما تناقصت المسافة إلى حوالى ٧٠ مترًا من الجهة الأخرى.

صب العدو أشد ما أمكنه من النيران على المدرعات. وفي المساء أصيب الرئيس يحيى عكاشة بطلق ناري في رأسه، وبعد نصف ساعة أصيب الرئيس الأول طاهر يحيى.

بينما قام الرئيس صفاء محمود، أقدم ضابط في السريتين، بإبلاغ القيادة بأنه سيحاول فتح باب القلعة مهما كلفه الأمر.

المدرعات العراقية تتحدى القلعة:

هكذا وقفت المدرعات أمام حصن غيشر متحدية عنيدة، كأنها النمور المتحفزة للانقضاض على فريستها. وكان يسمع من قرع الرصاص على الدروع قرقعة شديدة متواصلة. بينما واصلت المدرعات الرمي برشاشاتها على القلعة.

وبدأ القتال القريب بالقنابل اليدوية:

إستمر التضييق على الحصن باستمرار حول الظلام، واقتربت المشاة والمدرعات أكثر، وبدأ القتال بالقنابل اليدوية، واستطاعت المفارز الأمامية للفوج الثاني من اللواء الأول، الوصول قبل منتصف الليل إلى أبنية مستعمرة غيشر، وتطلب الموقف نسف الأسلاك الشائكة والسياج المحيط بالقلعة، تمهيدًا لنسف الباب.

عمل بطولي:

تبرع لهذا الواجب الخطير نائب العريف محمد عبد الله، وسائق المدرعة، ونائب العريف شهاب أحمد، من مدرعات خالد. وانقضا بمدرعتهما، ورصاص العدو ينهمر عليهما، في الحادية عشر والربع

مساءً، وفتحا النار على سياج القلعة والأرض المحيطة بها، لتفجير ما يحتمل وجوده من ألغام، ثم اقتحما بمدرعتهما سياج الأسلاك الشائكة، وانطلقا إلى الأمام نحو باب الساحة الداخلية للقلعة من ناحيتها الجنوبية والشرقية المواجهة للأردن.

عندما أصبحت المدرعة ملاصقة للباب، لم يعد بإمكان الصهاينة إطلاق النار عليها من نوافذ الحصن، لشدة النيران الساترة من جهة، ولأن الأسلحة المضادة للدبابات لا يمكن استخدامها من زاوية حادة من نوافذ الحصن من جهة أخرى. وإزاء هذا الوضع، فقد استعد اثنان من جنود الحصن يحملان قنابل مولوتوف المحرقة، لاستقبال المدرعة عند اقتحامها الباب الحديدي للحصن.

الدبابات تحاول كسر باب الحصن:

حاولت المدرعة أن تفتح الباب بالنيران فعجزت. وأخيرًا توصلت المدرعة لوسيلة اتسمت بالمجازفة والجرأة والشجاعة، فقد تراجعت قليلاً إلى الوراء، وبسرعة جنونية تقدمت ونطحت الباب الحديد بصدمة عنيفة لكن الباب صمد للصدمة ولم ينكسر. وتعطلت المدرعة نتيجة النيران والأسلاك الشائكة والألغام، وهي تبعد أقل من ٣٠ مترًا من الباب. وكان لابد من سحب المدرعة وإنقاذ طاقمها، فتطوع الجندي أول (قرياقور عبد الله) ونزل من مدرعته، وربط سلك السحب، رغم رهبة الموقف تحت النار، حتى أتم واجبه، وسحب المدرعة العاطلة نحو ٤٠ مترًا، حتى استقرت خلف الأبنية.

المعركة تستمر:

استمرت المعركة الليلية، وكانت نيران الرشاشات، والهاونات، والقنابل اليدوية، تنهمر من الجانبين، حتى انقض في حوالى الثالثة بعد منتصف ليلة ١٧ - ١٨ آيار/ مايو نائب العريف عبد الرازق عبد الله، ونائب العريف عبد الله حسن، على باب الحصن وفي منطقة كانت مضروبة بالنيران الكاسحة، فوضعا البارود تحت الباب الحديد وأشعلا الفتيل ثم عادا، وصعدا إلى المدرعة، التي لم تكد تنسحب قليلاً إلى الخلف حتى انفجر البارود، وتم نسف جزئي لباب القلعة، أسفر عن ثغرة في الباب.

حينئذٍ عاد الصهيونيان حاملين القنابل المولوتوف، وربضا بجوار الثغرة المفتوحة في الباب، واقتربت المدرعة العراقية من الباب ثانيةً، فالقيا عليها قنابل المولوتوف، واندلعت النار في المدرعة. فحملها ذلك على العدول عن اقتحام المدخل، وانسحبت والنار مشتعلة فيها، بينما المدرعات الأخرى تسترها بإطلاق النيران على القلعة.

القائد الصهيوني يتفقد حالة الحصن:

عندما تفقد آمر منطقة غيشر الإسرائيلي حامية الحصن ليلاً، وجد رجالها لا يستطيعون حراكًا من شدة التعب والإعياء، ووجد القلعة قد كثرت فيها الثغرات، وشاهد عند السياج أربع مدرعات تجثم بدون حراك، بينما راحت بعض المدرعات الأخرى تستر على بعد ٩٠ مترًا، محاولةً جر المدرعات المعطلة.

المؤتمر الليلي وخطة الغارة على بيت يوسف:

عقد في مؤتمر القيادة العراقية ليلة ١٧ - ١٨ آيار/ مايو، مؤتمرًا عن أعمال وواجبات اليوم التالي، وبالنظر لورود برقية آمر الفوج الأول من اللواء ١٥ في الثامنة والنصف مساء ٥/١٧، بإخلاء قرية كوكب الهوى، وطلب عدم قصفها بالطائرات، صباح يوم ٥/١٨، فقد جرى الاتفاق في المؤتمر على الإغارة على مستعمرة بيت يوسف بجحفل فوج من اللواء الأول، مع استمرار محاصرة حصن غيشر بالفوجين (ف٣ ل ١ - ف ١ ل ١٥) ودخوله عنوة.

ملخص الخطة:

تلخصت الخطة في أن يتقدم الفوج الأول من اللواء الأول بالسيارات، متخذًا تدابير الحماية بمساعدة المدرعات حتى نقطة الترجل (على بعد ١ كم من المستعمرة) حيث يتقدم الفوج مترجلا لحرق المستعمرة وتدميرها والانسحاب.

في السادسة وأربعين دقيقة، قصفت القوات الجوية العراقية مستعمرة بيت يوسف حسب الخطة.

موقف كوكب الهوى:

اعتقدت سريتا الفوج الأول، في اللواء الخامس عشر - كما سبق الإشارة - أنهما احتلتا الهدف. وعندما اكتشفتا أنهما لم تحتلاه بعد، تقدمتا فجر ٥/١٨، عبر البساتين لدخول القرية، فانصبت عليهما نيران كثيفة فجأة، من أبنية القرية. ويبدو أن الصهاينة أحضروا نجدات إلى القرية ليلاً. ونتيجة للنيران الشديدة على

السرية، استشهد آمر السرية الرئيس أول طالب جاسم العزاوي وثلاثة وعشرون من الرتب الأخرى، كما جرح أربعون آخرون. وحوالي الساعة السادسة تقهقرت السرية بدون انتظام، عائدةً إلى أماكنها الأصلية.

العدول عن الغارة:

في الصباح الباكر اتضحت جسامة الخسائر التي تكبدتها القوات العراقية التي هاجمت كوكب الهوى، وخطورة موقفها، ما قد أجبر القيادة العراقية على أن تأمر بصرف النظر عن الإغارة على مستعمرة بيت يوسف، وتقرر وضع خطة جديدة لمهاجمة كوكب الهوى بقوة فوج، هجومًا مدبرًا.

تغيير محور الهجوم:

نظرًا لتطور الموقف العام، والمتمثل في رغبة الملك عبد الله في احتلال القدس القديمة بالجيش الأردني، فقد اتجهت النية إلى تكليف الجيش العراقي بالعمل في قطاع لواء السامرة - نابلس، وأقضيتها (جنين وطولكرم)، على أن يظل محتفظًا بمحور " إربد - الجامع "، وبناء عليه، فقد صدرت تعليمات القيادة العراقية العامة، كالآتي:

١- تهيئة جحفل لواء مشاة، ليتحرك من بغداد إلى لواء السامرة الفلسطيني، ليصل بسرعة، قبل فرض الهدنة الدولية المحتملة.

٢- تحريك القوة الآلية، مع فوج مشاه إلى لواء السامرة، بسرعة فائقة.

٣- إبقاء جحفل اللواء الأول ناقصًا فوجًا في قطاع الجامع.

الملك عبد الله يقول سأحتل القدس غدًا وتل أبيب بعد أسبوع:

اجتمع الملك عبد الله، في ١٩آيار/ مايو مع رئيس الجمهورية السورية، شكري القوتلي، في درعا على الحدود السورية الأردنية، وحضر الاجتماع كل من رئيس وزراء لبنان، رياض الصلح، ونظيره السوري، جميل مردم، والأمين العام للجامعة العربية، عبد الرحمن عزام، والأميرالاي سعد الدين صبور، رئيس هيئة الارتباط المصري في القيادة العامة بالزرقاء، وقد صرح الملك عبد الله في هذا الاجتماع: " سأحتل القدم غدًا وتل أبيب بعد أسبوع ".

معركة جنين:

أخذ رتل " أسد " مسؤولية مدينة جنين، وبدأ في تنظيم دوريات استطلاع، للإغارة على خط زرعين - اللجون، في ٣٠ آيار/ مايو ١٩٤٨، أما القوات الإسرائيلية فقد وضعت الخطة على أساس احتلال جنين، وباشرت التجهيز ليلة ٣٠ - ٣١ آيار/ مايو لتنفيذ الخطة.

المعركة:

في العاشرة والنصف مساء الأول من حزيران/ يونيو، استطاعت القوات الإسرائيلية الالتفاف واحتلال أهدافها قبل فجر ٢ حزيران/ يونيو، أما القوة الإسرائيلية المتقدمة على الطريق العام، فقد لاقت مقاومةً عنيفةً حين صمدت سرية المشاة الآلية العراقية في التل رقم ١٥٢، ودار قتالٌ عنيف تسبب في تأخير تنفيذ الخطة الإسرائيلية. ووقعت خسائر كثيرة في قوات العدو ومركباته طيلة يوم ٢ حزيران/ يونيو، ولكنه استمر في التقدم

فاضطرت سرية المشاة الآلية الثالثة أن تنسحب بعد الظلام من التل رقم ١٥٢، في الثامنة من مساء ٦/٢.

رتل أسد يتحصن في قلعة جنين:

بذلك التجأ رتل " أسد " إلى قلعة جنين، في القسم الغربية من البلدة، وأبرق آمر الرتل إلى القيادة بأنه اضطر إلى قبول الحصار في قلعة جنين، في مواجهة قوات تفوقه بثلاثة أضعاف، وأن لدية موارد إعاشة تكفيه ثلاثة أيام، وطلب إرسال نجدات وقصف القوات المعادية بالطيران.

تبادل التراشق بالمدفعية:

استطاع العدو دخول بلدة جنين ببعض قواته ليلة ٢ - ٣ يونيو/ حزيران، وقام بنسف بعض المباني، في حين اضطر الكثير من الأهالي إلى ترك بيوتهم والالتجاء إلى القلعة تحت حماية القوة العراقية.

بينما استمرت هاونات ورشاشات العدو في قصف القلعة فضلاً عن إغارات الطيران ليلة ٢ - ٣ ويوم ٣ حزيران/ يونيو، فتكبد رتل أسد بعض الخسائر، حيث استشهد الملازم أول عبد اللطيف مسيري وبعض الجنود، وتعطلت ٣ مدافع (٣٧ بوصة).

القوات العراقية تقرر الهجوم المضاد لاستعادة جنين:

١- قررت القيادة العراقية شن هجوم مضاد لاستعادة جنين، وبناءً عليه أصدرت القيادة تعليماتها إلى بعض القوات للتحرك إلى جنين في سبيل طرد العدو من البلدة، ومن منطقة الفوج الأول المحاصر بالقلعة.

٢- وصلت قيادة الجحفل الرابع إلى المنطقة، وكان الفوج الثاني قد

تشكل للقتال، واشتبك مع العدو على التلال المشرفة على مدخل المضيق المؤدي إلى جنين، وعند الظهر أرسل الفوج الثاني برقية يقول فيها " نحن على الجبال، نحتاج إلى المدرعات على الطريق لستر الجناح الأيمن ".

آمر القوات المحاصرة بالقلعة يطلب معاونة المدفعية :

في الحادية عشرة والنصف، طلب آمر الفوج الأول بالقلعة معاونة المدفعية، لأن العدو أخذ يقصف مواقعه بالهاونات بشدة. وبعد أن حدد مكان هاونات العدو، قامت بطارية مدفعية (٢٥ رطلا) باقتحامها تماما.

العدو يتكبد خسائر فادحة :

صب الفوج الثاني نيران هاوناته على العدو بشدة، ومن رسائل العدو اللاسلكية، التي تم التنصت عليها، قدرت خسائر العدو حتى الظهر، باثنين وأربعين قتيلاً وثمانيةً وأربعين جريحًا، وقد قدرت قوات العدو في هذه المعركة بنحو أربعة آلاف مقاتل.

واستمر القتال بعد الظهر، بالعنف والشدة نفسها، وقام الفوج الثاني، بعد ظهر اليوم نفسه، بهجوم على العدو، بمعاونة بطارية مدفعية (٢٥ رطلا)، وذلك بقصف العدو على السفوح المحيطة بالبلدة. واستمر الهجوم نحو ساعتين، وتم استخدام نيران جميع مدافع الهاون وبطارية ٢٥ رطلاً على خنادق العدو، فأصيبت مواقعه بإصاباتٍ مباشرة، بعدد هائل من قنابل المدفعية والهاون، واضطرت بعض وحداته للانسحاب، إلا أنه دفع بوحداتٍ جديدة إلى الجبهة.

الموقف بعد ظهر يوم ٦/٣:

في الساعة الرابعة والربع بعد الظهر، أرسل الجحفل الرابع تقريرًا بالموقف:

١- احتلت وحداتنا الوادي والقمم المسيطرة على جنين، ولم يبق أحد من العدو في تلك التلال.

٢- بسبب تعب وحداتنا تقرر أن يعسكر كلٌ في مواقعه التي احتلها.

٣- خسائرنا طفيفة، وخسائر العدو تقدر بأكثر من مائة قتيل، وأكثر من سبعين جريحًا.

٤- استمر القتال ليلاً حتى الساعة الحادية عشرة بنيران الهاونات والأسلحة الخفيفة، وتقرر قيام الفوج الثاني من اللواء الخامس فجر يوم ٦/٤ بالإجهاز على آخر مقاومة للعدو في (التل الأجرد).

هجوم الفجر:

١- قام الفوج الثاني، في الثانية والنصف ليلة ٦/٣ بهجوم على (التل الأجرد)، بمعاونة مدافع الهاون، فتمكن من احتلاله، في الثالثة وبذلك انهارت آخر مقاومة للعدو، وقد اشتركت بطارية المدفعية في تعقب العدو بنيرانها.

٢- اشترك الفوج الآلي برشاشاته في الرمي على العدو، فانقلب انسحاب العدو إلى هزيمةٍ ساحقة، تاركًا وراءه أسلحته وقتلاه، وكانت إصابات القنابل على مواضع هاونات العدو ورشاشاته

الثقيلة إصابات مباشرة. وتساقط عدد كبير من العدو قتلى في هذا الانسحاب.

٣- وهكذا تم في الساعة الثالثة من صباح يوم ٦/٤ الاستيلاء على التلول، وفك الحصار عن الفوج الآلي في قلعة جنين.

خسائر العدو:

قدرت خسائر العدو بـ ٢٠٠ قتيل، وعدد كبير من الجرحى، الذين ظل العدو ينقلهم طوال الليل (حوالي ١٥٠ جريحًا).

كما استولى الفوج الثاني على ١٥ بندقية (برتو)، و٣ مدافع هاون (٣ بوصة)، ومدفع هاون (٢ بوصة)، و٢ قاذفات (بيات)، و٢٤ قنبلة يدوية، و٣ رشاشات خفيفة، ورشاش برن، و ٤ أجهزة لاسلكي. علاوة على كمية كبيرة من ذخيرة الهاونات والطلقات وأدوات الحفر.

خسائر الجانب العراقي:

٥ شهداء و٢٥ جريحًا من الجحفل الرابع، و١٣ شهيدًا و٢٢ جريحًا من الفوج الآلي.

صد الهجوم المضاد:

قام العدو، في منتصف ليلة ٤ - ٥ حزيران/ يونيو بهجومٍ مضاد، مستخدمًا فيه المشاة بأعداد كبيرة، تعاونهم نيران الهاونات والرشاشات في محاولة للوصول خلف أجنحة الوحدات العراقية، من الشرق والغرب. ولكن الجحفل الرابع صب نيرانه وأحبط الهجوم المعادي، كما استخدمت نيران المدفعية للنجدة، مما اضطر العدو إلى الارتداد فجر ٥ - ٦

حزيران/ يونيو إلى مواضعه في التل رقم ١٥٢، وكانت خسائره جسيمة. فقد عثرت المدرعات العراقية، عندما كانت تقوم بدورياتها، في اليوم التالي، على ٣٦ من جثث الأعداء قريبة من الجسر على الطريق العام.

دور القوة الجوية العراقية :

١- قصفت قلعة غيشر يوم ٥/٢٤ بالقنابل الثقيلة.

٢- قصفت مستعمرة أشدوت يعقوب في ٥/٢٤ وأحدثت بها خسائر فادحة.

٣- قامت في ٢٧ - ٢٨ آيار/ مايو بقصف مستعمرة بونا، وتجمعات العدو على الطريق العام، الواقع شرقها. كما هاجمت أرتال العدو المتنقلة على طريق حاضرة - بن يهودا، وقصفت مستعمرة أبو شوشة بقنابل ثقيلة أحدثت فيها عدة حرائق وتدميرا شديدا.

٤- قصفت في ٢٩ - ٣٠ - ٣١ آيار/ مايو مستعمرة خلدة وأبو شوشة، واستطلعت منطقة نبهان، فقصفت الخيام والعربات على الطريق المؤدي إليها. وقصفت الإستحكامات والخنادق المحيطة بها. كما قصفت العفولة بقنابل محرقة، وهاجمت أربع عربات على الطريق، جنوبي العفولة، فأصابتها إصاباتٍ مباشرة.

٥- اقتصرت في ١٩٤٨/٦/١ على قصف العفولة وهاجمت أرتال العدو والآلية ومدرعاته ودفاعاته الأرضية لمقاومة الطائرات، في منطقة العفولة - طولكرم وأصابتها، ودعمت القوات في منطقة طولكرم.

٦- واقتصرت أعمال القوة الجوية على دوريات الاستطلاع، حتى هجوم يوم ١٠ يونيو/ حزيران في جميع القطاعات.

نتائج الحرب:

كانت نتائج الحرب الفلسطينية العربية عام ١٩٤٨ هي هزيمة العرب جميعًا، وتشريد الشعب الفلسطيني إلى خارج أرضه، وهي نتيجة يحملها العرب جميعا لأنهم فشلوا في تحقيق النصر علي الصهاينة.

ومن أهم أسباب فشل العرب في هذه الحرب:

١- عدم إشراك السياسيين للقادة العسكريين في أي نقاش حول الحرب، مما جعل هؤلاء الآخرين في وضع غريب، فهم لم يطلعوا علي قرار دخول الحرب، إلا قبيل اندلاعها، ولم يتح لهم الوقت الكافي لاتخاذ الاستعدادات اللازمة لتعبئة القوات.

٢- ضحالة المعلومات المتوافرة في أجهزة قيادات الجيوش العربية عن القوات المعادية في الوقت الذي كان فيه الصهاينة يعرفون أمورًا وأشياء كثيرة عن العرب.

٣- رجحان ميزان القوي لصالح (إسرائيل) رغم الكثرة السكانية العربية، وذلك بسبب تفهم الصهاينة الأعمق لمعنى الحرب ومتطلباتها. وإشراكهم كل القوى المتوافرة، وإعلانهم التعبئة العامة، في حين اقتصرت الدول العربية علي زج جزء من قواتها ونسبة لا تذكر من سكانها.

٤- ضعف القدرة والخبرة العسكرية لدي القوات العربية، فبعضها كان حديث التشكيل، وبعضها كان بقيادة أجنبية، وكلها لم يسبق لها الاشتراك الفعلي في القتال. في حين توافرت للقوات

الإسرائيلية خبرات قتالية اكتسبها بعض قوادها وأفرادها من الحرب العالمية الثانية.

٥- افتقار العرب إلى قيادة عسكرية موحدة جادة قادرة علي التخطيط والتنسيق بين الجيوش والإشراف علي سير العمليات، مما أدي إلى إصدارها أوامر تفتقر إلى الدقة في تحديد الأهداف والمهام. بل لقد أدي تعدد القيادات وتضارب المصالح القطرية إلى تبديل القيادة قراراتها فجأة، خالقة فوضي وبلبلة بين القوات. في حين كانت القوات الإسرائيلية كلها، من نظامية وغير نظامية، ذات قيادة واحدة، أحكمت سيطرتها علي العمليات الحربية، ووجهتها وفق الخطة العامة.

٦- عجز الدول العربية عن استغلال فترات توقف القتال لتحسين أوضاع قواتها المسلحة، وتأمين السلاح والعتاد اللازمين كما فعلت (إسرائيل).

٧- قصور الدول العربية عن فهم استراتيجيات الدول العظمي المتحكمة في السياسة العالمية. واطمئنانها للوعود. وتقبلها المماطلات التي تقدمها. في الوقت الذي كانت فيه الصهيونية العالمية قد حشدت كامل طاقاتها المحلية والدولية، لخدمة أهدافها الإستراتيجية بالتعاون مع الدول العظمي.

أخيرًا لقد توفرت مجموعة من العوامل مساعدة ومؤيدة للصهيونية، في حين لم يتوفر مثل هذه العوامل للدول العربية. بل يمكن القول إن

الدول العربية سعت إلى شراء السلاح من بعض الدول فلم يقبل طلبها. في حين استطاعت الصهيونية أن توفر السلاح والمال والرجال بمساعدة من الدول الاستعمارية، التي كانت تحتل الدول العربية.

إن هزيمة العرب في فلسطين أثرت علي الجيوش العربية التي ذهبت للقتال من أجل قضيتنا القومية، ولكن الأنظمة العربية، في ذلك الوقت، كانت جزءًا من الاحتلال الذي أدار المعركة لصالح إسرائيل وهزيمة العرب.

لذلك عندما عادت الجيوش العربية من فلسطين، وهي مكسورة ومطعونة في كرامتها، فكر الضباط في القيام بثورة للتخلص من هذه الأنظمة. فكانت ثورة ١٩٥٢ في مصر، في ٢٣ يوليو/ تموز. وتبعتها ثورة العراق، في ١٤ يوليو/ تموز ١٩٥٨.

في عام ١٩٤٨ كانت بريطانيا تستعمر كلاً من مصر، والعراق. ولقد ضرب ضباط وجنود البلدين، رغم ضعف العتاد والأسلحة وندرتها، أروع الأمثلة لنكران الذات والتضحية بالروح، ولئن كان الجيش المصري غير معدٍ للقتال، في ذلك الحين، فلم يكن الذنب ذنب هؤلاء الشباب الأبطال، الذين رووا بدمائهم أرض فلسطين الطاهرة، وآمنوا بالهدف وبعدالة القضية التي كانوا يقاتلون في سبيلها، وسارعوا إلى الجهاد، واستهانوا بالموت في سبيل أداء الواجب.

ولم يكن الوضع بالنسبة للجيش العراقي بأحسن حال، من شقيقه الجيش المصري، ورغم ذلك كان رجال الجيش العراقي البواسل على

أحر من الجمر لدخول فلسطين، وتخليص أشقائهم عرب فلسطين من الإرهاب الصهيوني، وإنقاذهم من المصير التعس الذي ينتظرهم علي أيدي الصهاينة.

لكن الاستعمار البريطاني جعل من الجيش العراقي جيشا غير مهيأ للقتال، ويكفي أن نعرف أن الجيش العراقي، حتى عام ١٩٤٨ (عام دخول الحرب)، كان نصفه يستخدم الدواب والبغال للنقل! وحينما اشتبكت قواته، للمرة الأولى، مع القوات الإسرائيلية، فوجئت القوات العراقية بعدم معرفتها استخدام الأسلحة المضادة للدبابات، مما أدي إلى أن يشترك بعض الضباط العراقيين وصف الضباط مع الجيش الأردني، في تعلم استخدام القاذف الضاد للدبابات.

يقول اللواء الركن خليل سعيد: " لم تكن هناك لائحة حرب، ولا خطة تحرك في دائرة الأركان العراقية تعالج اشتراك الجيش العراقي في القتال في فلسطين ... ولم ترصد في ميزانيات ١٩٤٧ و ١٩٤٨ مبالغ غير اعتيادية للجيش، كما لم ترصد، عام ١٩٤٨، (ميزانية حرب) للنهوض بأعباء نفقات القتال ".

المراجع والمصادر:

الزمان - بغداد ١٩٥٢/٣/١٥.
محمد مهدي كبه، **مذكراتي في صميم الأحداث ١٩١٨ - ١٩٥٨**، مطابع دار الشؤون الثقافية، ١٩٨٨، بغداد.
هيثم الكيلاني - الموسوعة الفلسطينية - المجلد الخامس، دراسات فلسطينية، ط١، بيروت، ١٩٩٠.
محمد حمدي الجيفري، إنقلاب الوصي في العراق، مكتبة مدبولي، القاهرة، ٢٠٠٠.
خلدون ساطع الحصري، مذكرات طه الهاشمى ١٩٤٢ - ١٩٥٥ القضية الفلسطينية،

بيروت، دار الطليعة، ١٩٧٨.
صالح صائب الجبوري، محنة فلسطين وأسرارها السياسية والعسكرية، بغداد، دار الكتب، ١٩٧٠.
محمد فيصل عبد المنعم، أسرار ١٩٤٨، دار الهنا للطباعة، القاهرة، ١٩٦٨.
مذكرات يهودي أسير في معارك وادي الأردن، أسرار ١٩٤٨.

* * *